منهج القرآن في إدارة الأزمة السياسة –سليمان عليه السلام مع ملكة مملكة سبأ–نموذجاً

ريم أحمد عبد المجيد المغربي
د. كوثر عبد القادر
د. أحمد كامل محمد
كلية دراسات القرآن والسنة
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

Abstrac

وقف القرآن الكريم على قصة سيدنا سليمان عليه السلام وملكة مملكة سبأ على الأزمة السياسية مبيناً فيها أسباب الأزمة وما تبعها من خصائص وعلوم إدارية مستخدمة في إدارة تلك الأزمة مثل: استخدام علم الهندسة المعمارية وعلم الجوْسسة وعلم لغة الحيوان وحركة الرياح وكيفية استدراج الخصم بدون ردود أفعال سلبية منه. كما أظهرت النتائج السبب المهم الذي أدى إلى نشوء الأزمة وهو سبب عقائدي محض والذي يعتبر في الأغلب منشأ أكثر الأزمات عند المسلمين:﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾سورة النمل 24. وأوضحت الحنكة الدبلوماسية الحكيمة للملك سليمان عليه السلام سبل النجاح والتغلب على الأزمة بعد تسارع الأحداث وانحسار الأزمة ونهايتها. واعتمد البحث على المنهج الاستقرائي الكلي في جمع الآيات القرآنية المتعلقة بموضوع الأزمة السياسية في قصة سليمان عليه السلام والمنهج التحليلي لفهم الآيات والوقوف على معانيها بالرجوع إلى أمهات الكتب في التفسير.

الكلمات المفتاحية: إدارة الأزمة، الأزمة السياسية، مملكة سليمان عليه السلام ، مملكة ملكة سبأ ، القرآن الكريم

يتحدث البحث عن مملكة سليمان عليه السلام ، ومملكة ملكة سبأ؛ إذ تعد نموذجا عمليا لإدارة هذا النوع من الأزمات، حيث وردت حيثياتها في سورة النمل تفصيلا بدية من قوله تعالى (وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ) [النمل :20] إلى قوله عز وجل (قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [النمل :44] ويعبر عن هذه الأزمة المذكورة في هذه الآيات بالتعبير المعاصر بـ: الأزمة السياسية الدولية وهي: "ذلك الجزء الحاسم من الصراع الدولي الذي يتسم باحترام تصاعد وتائره نتيجة مساسها بالمصالح القومية، والقيم، والمثل العليا، بحيث يشعر صناع القرار بتهديدها، وتعرضها للخطر

مما يتطلَّ بسرعة الرد، وتبرز احتمالية اندلا ع الحرب خلالها نتيجة المفاجأة التي يحدثها مثل هذه التهديد، ويمكن تطورها بأحد اتجاهين: إما نحو التصعيد والوصول إلى حافَّة الحرب، وإما باتجاه التخفيض، وامتصاص وتائرها، وتلاشيها"[1]

المبحث الأول: التعريف بكل من مملكة سليمان عليه السلام، مملكة ملكة سبأ

مملكة سليمان عليه السلام

تميز سليمان عليه السلام بكون والده داود عليه السلام الذي جمع الله عز وجل له النبوة ،الملك ، الحكمة ، القوة . قال تعالى (وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ) [البقرة:251] وورث من بعده ابنه سليمان عليه السلام لقوله تعالى : (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ) [النمل :12] وقد آتى الله عز وجل نسل إبراهيم عليه السلام ملكاً عظيماً وسليمان بن داود عليهم السلام من نسله قال تعالى (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا) [النساء:54] وقد دعا سليمان عليه السلام ربه أن يهب له ملك عظيم لا يدانيه مُلك و لم يؤتيه أحد أعظم منه ليكون معجزة ودليل على نبوته للمبعوث إليهم ..فستجاب الله دعائه ووهب له مُلك لم يهبه لأحد من بعده، قال تعالى (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) فكان ملك لم ينقص منه شيء وسخر له كل ما يحتاجه قال تعالى : (وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ) [النمل:16] وكل شيء في الآية السابقة تعني كل شيء من العدد، والآلات، والجنود، والجيوش، والجماعات من الجن، والإنس، والطُّيور، والوحوش، والشياطين السارحات، والعلوم ، والتعبير عن ضمائر المخلوقات من الناطقات، والصامتات..[2] وعِّلم منطق الطَّير والحيوانات وسخرها له قال تعالى: (وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ)[النمل:16] لتلبي له كلَّ ما يطلبه، وقد استخدم الطَّير لعمليات الجوسسة، والتحكم عن بعد، ولنقل وحمل الأخبار، كما سخر الله عز وجل له من هو أشد قوة على وجه الأرض الا وهي الريح تجري بأمره قال تعلى : (فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ)[ص:36] وبين القرآن العظيم أن الله عز وجل قد سخر له الجن والشياطين في كثير من المواطن وبين أن الجن تحمل قوة خارقة، حيث تقوم بأعمال يعجز عنها الإنسان، ومثاله: الغوص في أعماق البحار، وبناء القصور الشاهقة والمتقنة ،قال تعالى:(وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (12) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) [سبأ: 12 – 13].وكقول العفريت من الجن لسليمان عليه السلام عن قصر ملكة سبأ قال تعالى:(أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ

(1) شكارة نادية. اتخاذ القرار في الأزمة الدولية. جامعة بغداد. كلية العلوم السياسية .1996م. ص 12.

(2) ابن كثير . قصص الأنبياء. ط1 . دار التأليف .القاهرة .1968م. ج2.ص285

أَمِينٌ) [النمل: 39]. أي: أنَّ هذه الجماعة من الجن، التي سخرها عز وجل لسليمان عليه السلام، تعمل له ما يشاء وكونها يد عاملة تمتاز بالقوة والسرعة في الأداء، وتوفُّر المرافق والأبنية ، وتحقيق الاكتفاء الذاتي في مجال الغذاء والتموين، وكل شيء، و إسالة عين القطر له عليه السلام قال تعالى: (وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ) [سبأ: 12] وهي إلانة الحديد لغرض صناعة المعدات الحربية به وقوته في إنتاج الآلات الحربية، والمعدات اللَّازمة للدفاع، المصنعة من المواد الأولية كالحديد والنحاس .وكان عليه السلام يمتلك الخيل الحربية المدربة والتي تمتاز بالقوة في حسم المعارك والتي تعادل الدبابات والناقلات الحربية حالياً قال تعالى :(إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ) [ص: 31].يقول الخالدي: "إننا نعلم أنَّ سليمان عليه السلام كان رجل جهاد، وأنه خاض معارك إيمانية ضد الكفار، وكانت الخيل من أسلحة الحرب المعروفة، ولذلك كان سليمان محبا للخيل لهذا الهدف الجهادي العظيم الذي يحقِّ ق له الخير، وكان يعتبر حبه للخيل وإعدادها للجهاد صورة من صور ذكره لربه، وكان يعد الخيل للجهاد دائما، ويحرص على لياقتها البدنية الجهادية ويبقيها في المضمار والميدان تعدو وتسبح"[3].

كما كان له عليه السلام قوة عسكرية هائلة يقول تعالى: (ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ) [النمل: 37].يقول الرازي: " أما قوله تعالى: لا قبل أي: لا طاقة، وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة، أي لا يقدرون أن يقابلوهم. والضمير في (منها) لسبأ، والذُّلُّ أن يذهب عنهم ما كان عندهم من العز والملك، والصغار أن يقعوا في أسر واستعباد، ولا يقتصر م على أن يرجعوا سوقة بعد أن كانوا ملوكا"[4].

مملكة ملكة سبأ

كانت تقع في سبأ تحكمها امرأة عاصرت سليمان عليه السلام واتصفت بقوتها وحكمتها وتتربع على عرش عظيم ولديها القوة العسكرية والمال ولديها مستشارين أكفاء قال تعالى :(إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ) [النمل: 23] أي تملك من متاع الدنيا ما يحتاج إليه الملوك ولها عرش عظيم تجلس عليه. وقوله:(وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) وكأنَّ الهدهد ساوى مع قوة سليمان عليه السلام : (وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ)، فالمملكتان تتفقان في العظمة، وضخامة ما أوتي ، ولكن هذا يبقى مع الفارق في الجوهر والمضمون ،"فهي مثله فيما يناسب أمثالها من الملوك لا في النبوة وحمل المنهج"[5].وكانت هذه المملكة

(3) الخالدي صلاح عبد الفتاح. القصص القرآنية. عرض وقائع وتحليل أحداث. ط. دار القلم. دمشق. 1998م. ج 3. ص 487.

(4) الرازي محمد بن عمر. مفاتيح الغيب. ط1. دار الكتب العلمية. بيروت .1421هـ. ج 24. ص556.

(5) الشعراوي محمد متولي. الخواطر. مطابع أخبار اليوم. القاهرة. 1997م. ج17.ص10777.

وملكتها كافرة قال تعالى:(وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ)[النمل:24]. كانت وقومها في ضلال مبين، فهم يعبدون الشمس من دون الله خالق كل شيء وزين لهم الشيطان قبيح أعمالهم، فصدهم ذلك عن الطريق السليم والذي بحث الله له الأنبياء وهو السجود لله وحده لا شريك له.

وقد كانت ملكة سبأ امرأة حكيمة ذات رأي غير متغطرسة ذات عقل راجح مهابة في حكمها ومطاعة قال تعالى: (قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ) [النمل: 32]. يقول الخطيب: "إنها لم تدعهم إليها لتلقي إليهم ذا الخبر رد العلم به، وإنما ليشاركوها الرأي فيه، وليشيروا عليها بما ينبغي أن تواجه به هذا الموقف... فصورة كريمة، للحاكم الحكيم. الذي يتوخى الخير، والأصلح لرعيته. فلا يبرم أمرا إلا عن رأي ومشورة، يشارك فيها أهل الرأي والمشورة. «ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون» أي: حتى تشهدوا معي هذا الأمر، وتروا فيه رأيكم..."[6].

وكانت ملكة سبأ امرأة عالمة بشؤون الدول والملوك قال تعالى : (قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) [النمل: 34].يقول الرازي: "اعلم أنها لما عرضت الواقعة على أكابر قومها وقالوا ما تقدم أظهرت رأيها، وهو أنَّ الملوك إذا دخلوا قرية بالقهر أفسدوها، أي: خربوها وأذلُّوا أعزتها، فذكرت لهم عاقبة الحرب"[7].وهذا يدل على معرفتها وخبرتها بأمور الملوك والحكم والحنكة السياسية العالية فقد فكرت وعملت على أرسال الهدايا إلى سليمان عليه السلام قال تعالى: (وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ)[النمل: 35].يقول الزحيلي: "أي: وإني ألجأ إلى هذه التجربة وهي بعث هدية إليه، تليق بمثله، وأختبر أمره، أهو نبي أم ملك؟ وأنظر ماذا يكون جوابه بعدئذ، فلعلَّه يقبل ذلك منا ويكف عنا، أو يفرض علينا خراجا نرسله إليه في كلِّ عام، فنأمن جانبه، ويترك قتالنا ومحاربتنا. قال قتادة رحمه الله: ما كان أعقلها في إسلامها وشركها، علمتَّ أن الهدية تقع موقعا من الناس"[8]. وكانت تمتاز بالذكاء فعندما أمر سليمان عليه السلام بإحضار عرشها بلمح البصر قبل أن تصل إليه وقد غير فيه وعدل، ثمَّ أدخلها لتشاهده قال تعالى: (فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ) [النمل: 35]. "أي: عرض عليها عرشها، وقد غير ونكِّر، وزيد فيه ونقص منه، فكان فيها ثبات

(6) الخطيب عبد الكريم يونس. التفسير القرآني للقرآن. دار الفكر العربي. القاهرة. ج10. ص241.

(7) الرازي. مفاتيح الغيب. مصدر سابق. ج10. ص555.

(8) الزحيلي وهبة بن مصطفى. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج.ط2.دارالفكر المعاصر .دمشق.1418هـ. ج19.ص294.

وعقل، ولها لُبٌ ودهاء، وحزم، فلم تقدم على أنه هو لبعد مسافته عنها، ولا أنه غيره لما رأت من آثاره وصفاته، وإن غير وبدل ونكّر، فقالت: {كأنه هو} أي: يشبهه ويقاربه، وهذا غاية في الذَّكاء والحزم"[9].

المبحث الثاني: أسباب نشوء الأزمة السياسية، وخصائصها بين المملكتين

لم يكن سبب الأزمة الواقعة بين المملكتين العظيمتين قضية ترسيم الحدود، أو انتهاك السيادة، أو طمع طرف في ثروات الآخر... بل كان سببها عقائدي محض، وذلك أنَّ الهدهد لما أخبر سليمان عليه السلام بخبر ملكة سبأ بأنها تسجد للشمس من دون الله، هناك ثارت حفيظته، فتولَّدت أزمة بينهما. قال تعالى : (وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ)[النمل:24] يقول الشعراوي: "هكذا حدث الهدهد سليمان عليه السلام فيما يخص ملكة سبأ من حيث الملك الذي تشبه فيه سليمان كملك، ثم يحدثه بعد ذلك عن مسألة تتعلَّق بالنبوة والإيمان بالله، وهذه المسألة التي غار عليها سليمان، وثار من أجلها"[10] فلما علم سليمان عليه السلام بخبر الملكة، قامت الحجة لديه لدعوتها إلى توحيد الله عز وجل؛ لأنها هي الوظيفة الأساسية التي من أجلها بعث ، فبدأ بكتاب إلى الملكة يدعوه فيها إلى ترك عبادة الشمس، والتحول إلى عبادة رب الشمس والمخلوقات: (إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (30) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ)[النمل: 30 – 31].وكانت لهذه الأزمة خصائص وقفت عليها وهي: حدوثها بشكل مفاجئ غير منتظر، وهذا لعدم توقع سيدنا سليمان عليه السلام حدوثها من حيث المبدأ، أو لعدم الإحاطة بالأمور وهو لم يتوقع وجود ملكة تمتلك عرشا بقدر ما يمتلكه، و عدم إحاطته وعلمه بذلك العرش، وبديانة تلك الملكة (فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (22) إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (23) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ) [النمل: 22 – 24] .

و ترى الباحثة أن عامل الوقت لمعالجة الأزمة كان فيها ضيقا جدا، وهذا واضح من خلال الأوامر التي كان يصدرها سليمان عليه السلام في أثناء علاجه للأزمة، حيث أنه عليه السلام لم ينتظر بمجيء شاهد يشهد بصدق خبر الهدهد، بل كلَّفه مباشرة بمهمة نقل الكتاب إلى الملكة لأنَّ الوقت لا يسمح بذلك. وقد استخدم عليه السلام في أوامره التي وجهها إلى الهدهد الفاء التي تفيد التعجيل، حيث قال له: (اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ) [النمل: 28]. وأيضا عندما رد هدية الملكة عقب بعدها مباشرة بفاء معجلة بإرسال جنود إلى سبأ لا قبل لهما: (ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا

(9) ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. مصدر سابق.ج6.ص175.

(10) الشعراوي. خواطر الشعراوي. مصدر سابق.ج10.ص10772.

وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ) [النمل: 37].كما كان لضيق وقت الأزمة طلب عليه السلام من ملئه استقدام عرش ملكة سبأ بأقصر وقت ممكن:(قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ)[النمل: 38]. ومن خصائص هذه الأزمة نقص المعلومات التي ينقصها معيار التثبت عند سليمان عليه السلام لأنه خبر من طرف واحد فقط ولا يمكن في قلة المعلومات عن الملكة، أن يتخذ قرارا عسكريا كإرسال الجيوش، لذلك كان لابد في هذه المرحلة أن يرسل كتابا إلى الملكة لجس النبض، وفي قوله تعالى:(قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (27) اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ) [النمل: 27 -28].وهنا شكل الكتاب الذي أُلقي على الملكة حالة من الخوف والذُّعر، لأنها لم تفصح لقومها عن الطريقة التي جاءتا هذه الرسالة، ولم تكشف عن وجه الرسول الذي حملها إليها.. بل ألقت إليهم الخبر فجأة:(قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ) [النمل: 29] .

كما أن عدم وضوح صورة مملكة سليمان عليه السلام لدى ملكة سبأ، جعلها ترسل بالهدية من أجل التعرف أكثر على موقف الخصم من خلال قبول الهدية فإذا قبلها فإنها تحكم عليه حينئذ بأنه رجل دنيا ويمكن غلبته، أو احتمال رفض الهدية فتعرف بأنه رجل مبادئ وقيم؛ وبل صاحب نبوة ورسالة فلا يمكن مغالبته، قال تعالى:(وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ) [النمل: 35].ويتضح للباحثة من هذه الأمور والخصائص تداخل وتسارع الأحداث وتصاعد حدة الأزمة بين المملكتين بوتيرة متسارعة، وذلك حسبما صرح به القرآن الكريم، فبدأت بإرسال كتاب من سليمان عليه السلام إلى ملكة سبأ ،ثم إرسال ملكة سبأ بالهدية إلى الملك سليمان عليه السلام ،ثم رفض الهدية وطرد رسل الملكة من قبل سليمان عليه السلام، وبالتالي عزم من كلا الطَّرفين على استخدام القوة المفرطة ضد الآخر ،فمستشارو الملكة قالوا:(قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ) [النمل: 33]،أما سليمان عليه السلام فقال:(ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ)[النمل: 37].

المبحث الثالث: إدارة الأزمة السياسية بين المملكتين، مراحلها، أسسها

إنَّ إدارة الأزمات الدولية تعني: "كيفية التعامل والتغلُّب على الأزمة بالأدوات العلمية المختلفة، وتجنب سلبيا، والاستفادة منها مستقبلا"[(11)] وبالتالي تجد الباحثة إنَّ الغرض الأساسي لإدارة الأزمات الدولية، هو منع دولتين من الانتقال إلى مرحلة الصراع المسلَّح؛ فإذا اندلعت الحرب بينهما فهو إيذان بفشل الإدارة في تحقيق أهدافها. لذلك كان لمنهجية سليمان عليه

(11) الشافعي محمد. إدارة الأزمات.ط1.مركز المحروسة للبحوث والتعريب والنشر.1999م.ص10.

السلام في إدارته للأزمة السياسية الواقعة بينه وبين ملكة سبأ حيث اتخذ خطوة عملية أولى لإدارة الأزمة بينه وبين ملكة سبأ بعنصر الإعلام، وهدف من خلاله إلى إيصال رسالة إعلامية إلى ملكة سبأ بشكل سريع، موضح فيها مطالبه ، وقبل ذلك كانت عنده معلومات كافية ووافية عن ملكة سبأ. فنبي الله سليمان عليه السلام كان يهدف من هذه الأزمة دعوة ملكة سبأ سلماً إلى الإسلام دون تفكير بالدخول معها في استعمال القوة، كما يتضح من الرسالة التي أرسلها إليها ، لأن الكتاب كريم في مجمله ، وهذا الوصف جاء من الملكة نفسها حيث وصفت الكتاب المرسل إليها أنه كريم، ولم تصفه بالكتاب الخطير : (قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ)[النمل: 29]. يقول الشوكاني: "وصفت الكتاب بالكريم، لكونه من عند عظيم في نفسها، فعظَّ مته إجلالا لسليمان عليه السلام ، وقيل: وصفته بذلك لاشتماله على كلام حسن، وقيل: وصفته بذلك لكونه وصل إليها مختوما بخاتم سليمان، وكرامة الكتاب ختمه" [(2)]. كما أهتم الكتاب بتعظيم الله عز وجل، "وهو استفتاح شريف بارع فيه إعلان الربوبية الله ثمَّ الدعوة إلى توحيد الله والانقياد لأمره"[(12)] .وتحديد الهدف الرئيسي هو الدعوة إلى وحدانية الله عز وجل، ونبذ عبادة الشمس.

ويقول الرازي: "إن الأنبياء عليهم السلام لا يطيلون بل يقتصرون على المقصود، وهذا الكتاب مشتمل على تمام المقصود"[(13)].وإخفاء القوة العسكرية في خطابه عليه السلام رغم امتلاكه لها بل أسرها حتى لا يكون دخول الملكة في الإسلام تحت قوة السيف، ومن جهة أخرى أراد عليه السلام إلقاء الذُّعر والخوف في نفسية الملكة لعدم علمها بما يمتلكه عليه السلام من قوة، فلا تزال تهابه، وتخشى ردة فعله، وتحسب له ألف حساب.

كما ترى الباحثة أنه كان هناك عملية اختراق لغرض السيطرة على الخصم حيث أهمية ذلك يكمن في عملية البحث بموضوع الأزمة، والتعرف على عناصرها، وأسبابها، والعوامل المؤثِّرة في إيجادها، والارتباطات والعلاقات بين عناصرها، والعناصر الخارجية، ومن ثمَّ يصل متخذ القرار إلى تشخيص واقعي للأزمة، وتصور شامل لأبعادها. وأيضا هناك عملية التقييم والتي يتخذ القرار بالحكم على الأزمة بطريقة شاملة، ومعرفة جوانبها السلبية والإيجابية، وتحديد دقيق لمن يعمل في حلِّ الأزمة [(14)]إذا سليمان عليه السلام مارس عملية اختراق كاملة ضد ملكة سبأ وبكلِّ احترافية، وهذا وفق ما أشارت إليه الآية الكريمة: (اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (28) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ) [النمل: 28 – 29] وبالتالي كانت الخطوات باختراق الهدهد لقصر الملكة من أضعف نقطة منه، رغم الإحاطة الشديدة للقصر

(12) الصابوني محمد علي. صفوة التفاسير.ط1.دار القرآن الكريم.بيروت.1980م.ج2.ص373

(13) الرازي. مفاتيح الغيب. مصدر سابق.ج24.ص554

(14) المراغي أحمد بن مصطفى. تفسير المراغي.ط1.مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.مصر.1946م.ج19.ص135

من كل جوانبه ونواحيه بالحراس والحجاب والبوابين ثم إلقاء كتاب سليمان عليه السلام على الملكة دون معرفتها بالملقي، ثم قيام الهدهد بعملية استخباراتية على الملكة وذلك لتحقيق عمليتي البحث والتحقيق، والتي تتضمن معرفة ردة فعل الملكة تجاه الكتاب الملقى عليها، ومعرفة مواطن الضعف والقوة فيها، والإحاطة أكثر بكل مجريات ما يخطَّط ويناقش على طاولة الحكم، وفي الأخير إيصال كل هذه التقارير المفصلة عن الملكة إلى الملك سليمان عليه السلام .

كما استخدم عليه السلام الحرب النفسية مع ملكة سبأ لأنه يعرف أن حرب الأعصاب أداة فعالة من أدوات إدارة الأزمات، إذ يعمد مفتعلها إلى تحطيم المعنويات الداخلية لخصمه، فيحبط من عزائمه، ويفقده الثِّقة بنفسه، كما يزرع في نفسية الخصم الخوف والذُّعر واليأس والقنوط.

تقول سميسم: "وتهدف الحرب النفسية إلى التأثير على سلوك العدو أو الخصم ،بشكل يتجاوز التأثير المباشر للوسائل الجسمانية، لذا فإنَّ تطبيقها يتم في أوضاع عديدة ومتنوعة، ومستويات مختلفة"[15] وترى الباحثة تلك المظاهر للحرب النفسية التي شنها سليمان عليه السلام على ملكة سبأ تتلخص في ما يأتي: طريقة إلقاء الكتاب، وعدم العلم بالملقي حيث شكل هذان الأسلوبان لدى الملكة صدمة نفسية، والسبب راجع في ذلك إلى أنَّ هذا الأسلوب غير معهود في مخاطبة الملوك والعظماء .وكان لرد الهدية و كلَّ الجهود الجبارة التي بذلتها الملكة من جمع ملئها، واقتناءٍ للهدية النفيسة، وبعث الرسل بها إلى سليمان عليه السلام من أجل استرضائه، وكسب وده.. فما كان من سليمان عليه السلام أن قابل ذلك بالرفض القاطع لقبول الهدية، مع الاستهزاء!! حيث أرادت ملكة سبأ أن تختبر سليمان عليه السلام في موقفه، وأن تخفف أجواء الأزمة بينهما، يقول تعالى:(وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ) [النمل: 35] وكان رد سليمان عليه السلام قد شكل صدمة نفسية كبيرة لدى ملكة سبأ، حيث اعتبرت أنَّ رأيها، وملأها، وهديتها، ورسلها...لا قيمة لهم. فهذا التصرف أراد عليه السلام أن يبعث برسالة قوية إلى الملكة، لتترك أثرا نفسيا عميقا في داخلها، مفاد هذه الرسالة قد سد جميع أبواب المفاوضات، والمساومات، والتنازلات في وجه الملكة. وأبقى على باب وحيد مفتوح وهو: أن يأتوه مسلمين. كما كان لطرد رسل الملكة صدمة عنيفة تضاف إلى سابقاتها، لكن هذه المرة بشكل أوسع؛ لأنَّ فيها إهانة للملكة ولوفدها. يقول تعالى: (بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (36) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ)[النمل: 36 –37]. وتهديد سليمان عليه السلام لرسول ملكة سبأ: (ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ) [النمل: 37]. "ولهذا الجانب من الحرب النفسية أثر كبير

(15) سميسم حميدة. الحرب النفسية.ط1.الدار الثقافية.القاهرة.2005م.ص12.

في كسر شوكة العدو، وفي قتل مطامعه في النيل من عدوه، فلا يقدم على العدوان وهو يرى هذه القوى المهيأة للحرب، الراصدة لكلِّ عدو"[16].

ومن صور الحرب النفسية كانت إحضار سليمان عليه السلام لعرش ملكة سبأ ثمَّ التنكير فيه وهو رمز للملك، والقوة، والعزة، والسيادة. قال تعالى : (قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ)[النمل: 38] يقول طنطاوي: "ولعلَّ سليمان عليه السلام قد طلب إحضار عرشها من بلاد اليمن إلى بيت المقدس حيث مقر مملكته، ليطلعها على عظيم قدرة الله تعالى، وعلى ما أعطاه سبحانه له من ملك عريض، ومن نعم جليلة، ومن قوة خارقة، حيث سخر له من يحضر له عرشها من مكان بعيد في زمن يسير. ولعل كل ذلك يقودها هي وقومها إلى الإيمان بالله رب العالمين"[17].

ثم اختبار سليمان عليه السلام ملكة سبأ في عرشها لما وصلت ملكة سبأ إلى الأرض المقدسة عند سليمان عليه السلام أراها عرشها بعد التنكير فيه، فطرح عليها السؤال المحرج: فقيل لها:(فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ)[النمل: 38] وهنا تصدم الملكة نفسيا، وتحبط داخليا، وهذا أمر منطقي، فالملكة تركت عرشها في اليمن وها هو يصل قبلها، فأين؟ وكيف؟ ومتى؟؟ دارت في ذهنها أسئلة كثيرة.

وقد أمر سليمان عليه السلام الجن أن يبني له قصرًا زجاجيًا بأرضية زجاجية نقية شفافة كالبلور ، بحيث يرى الناظر الماء يجري من أسفله. فلما وصلت ملكة سبأ استقبلت في ذلك القصر الزجاجي الذي بني على الماء، فلما دخلته حسبته لصفائه ونقاء جوهره لجَّة ماء رقراق، فما كان منها إلا أن جمعت ثيابها فكشفت عن ساقيها، لظنها أنها تمشي على ماء ؟ هنا أزال سليمان عليه السلام دهشة الملكة بقوله لها: لا داعي لتشمير الثِّياب، لأنَّ الذي تمشين عليه إنما هو صرح ملس من الزجاج وناعم وشفَّاف، وهو مقام على ماء.

إذا فهذه المفاجأة من سليمان عليه السلام لملكة سبأ كانت بمثابة صدمة نفسية كبيرة ، أقنعت الملكة " أنَّ هذا الصرح لا يمكن أن يقوم بيد بشرية، ولا يمكن أن يكون من صنع بشر.. إنه من قوة فوق قوة الإنسان، ومن تدبير فوق تدبيره وإذا فهي أمام معجزة قاهرة.. لا يستطيع العقل السليم إلا أن يسّلم بها وإذا فلا بد من التسليم وقد سلمت"[18].

(16) الخطيب عبد الكريم يونس. التفسير القرآني للقرآن. دار الفكر العربي. القاهرة.ج13.ص384

(17) طنطاوي محمد سيد. التفسير الوسيط للقرآن الكريم. ط1. دار نهضة مصر. القاهرة. 1998م. ج10. ص325.

(18) الخطيب عبد الكريم. التفسير القرآني للقرآن. مصدر سابق. ج10.ص248.

ترى الباحثة إنَّ ما انتهجه سليمان عليه السلام من خطوات لإدارة الأزمة السياسية القائمة بينه وبين مملكة سبأ، والتي حقَّق فيها نجاحات باهرة تجعلنا نقف على كثير من الدروس والعبر، والعظات، لا سيما فيما تعلَّق بجانب إدارة الأزمات، فقد أغدق الله عز وجل على نبيه سليمان عليه السلام نعما عظيمة، كالنبوة، والملك، والعلم النافعة، والقوة التي استغلَّها بحكمة في إدارة الأزمة السياسية مع ملكة سبأ. ولإدارته عليه السلام للأزمة السياسية تطغي عليها الحكمة، والتعقل، والتدرج في الأمور، رغم كلِّ ما يمتلكه من أسباب النفوذ، والسلطة. واتسمت الإدارة السياسية بين المملكتين على احترام سيادة كلٍّ من المملكتين، وعدم تسجيل خروقات قانونية بينهما، مع إبقاء قنوات التواصل مفتوحة بينهما طيلة مدة الأزمة، كالمراسلات، والهدايا، والحوار، والزيارة...

ترى الباحثة رغم اختلاف الدين!!. تعد متابعة الشؤون والإشراف على العمليات من قبل قائد الأزمة نفسه أحد أهم عوامل نجاح إدارة الأزمات. ويعد الوصول إلى المعلومات الصحيحة والدقيقة أمرًا بالغ الأهمية لتشخيص الأزمة. كما تتطلَّب الإدارة السياسية سرعة اتخاذ القرارات الصحيحة ، وتحديد الموقف المناسب فهكذا يكون قائد الأزمة على قدر عال من المسؤولية واليقظة، وأن يحيط بكلِّ صغيرة وكبيرة سواء قبل الأزمة أو أثناءها أو بعدها، ولا بد أن يكون عادلا وحازما، وذلك بتطبيق العدالة والمحاسبة من أقل فرد في المملكة إلى قمة الهرم، ولابد أن يعتني بالأجهزة الأمنية ويوضح الهدف من الأزمة مع تسخير كامل الجهود؛ لضمان حلِّ الأزمة بشكل سلمي، وبأقصر وقت ويفتح باب الاستشارة مع أهل الرأي وذوي المدخلات والخبرة حول القضايا ذات الاهتمام السياسي سيفتح الباب أمام العديد من الحلول التي يمكن أن تساعد في التغلب على الأزمة ، أن من أهم علاج الأزمات السياسية بالطُّرق السلمية هو تحدي الخصم في المجال العلمي والتقدم الحضاري والثَّبات على المبدأ والتمسك بالمواقف وبالمطالب المشروعة شرط ضروري للوصول إلى الهدف المنشود لحلِّ الأزمة، والاهتمام بالجانب الإعلامي في إدارة الأزمات السياسية يعتبر حلقة وصل بين المملكتين . كما أنه يعتبر وسيلة للتخفيف من حدة الأزمة إذا تم استخدامه بحكمة وعقلانية. وتعتبر ممارسة الحرب النفسية على الخصم في الأزمات السياسية بشكل مدروس، يخضع الخصم للاستسلام. واختراق الخصم لدليل على تفوق المخترق، وهذا ما يساعده على مراقبة تحركات الخصم لأجل السيطرة عليه. وأخيرا يكمن السر في الإدارة الناجحة لهذه الأزمة السياسية الواقعة بين المملكتين القويتين وتحقيق الأهداف المرجوة منها، دون التسبب في صراع أو توتر بين الطَّرفين، يكمن أساسا في امتلاك إدارة سليمان عليه السلام لأربع قوى أساسية وهي: القوة الإيمانية –القوة العلمية–القوة العسكرية–القوة التنظيمية.

المصادر والمراجع.

القرآن الكريم

ابن أبي حاتم الرازي عبد الرحمن بن محمد بن إدريس (ت: 327هـ) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تح: أسعد الطيب، ط3، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية ،1419هـ.

أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي . قصص الأنبياء. ط1 . دار التأليف .القاهرة .1968م.

الخالدي صلاح عبد الفتاح القصص القرآني، عرض وقائع وتحليل أحداث، ط، دار القلم، دمشق ،1998م.

الخطيب عبد الكريم يونس (ت: بعد 1390هـ) التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.

الرازي أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت: 666هـ) مختار الصحاح، تح: يوسف الشيخ محمد، ط 5، المكتبة العصرية، بيروت، 1999م.

الرازي محمد بن عمر. مفاتيح الغيب. ط1. دار الكتب العلمية. بيروت .1421هـ.

الخطيب فايز وضاح الإعجاز القرآني البياني في آيات قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ، مجلة جامعة دمشق، اللد 17، العدد 2،2001م

الزحيلي وهبة بن مصطفى. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج.ط2.دارالفكر المعاصر.دمشق.1418هـ.

سميسم حميدة. الحرب النفسية.ط1.الدار الثقافية.القاهرة.2005م.

الشافعي محمد. إدارة الأزمات.ط1.مركز المحروسة للبحوث والتعريب والنشر.1999م.

الشعراوي محمد متولي. الخواطر. مطابع أخبار اليوم. القاهرة. 1997م. ج17.ص10777.

شكارة نادية. اتخاذ القرار في الأزمة الدولية. جامعة بغداد. كلية العلوم السياسية .1996م.

الصابوني محمد علي. صفوة التفاسير.ط1.دار القرآن الكريم.بيروت.1980م.

طنطاوي محمد سيد. التفسير الوسيط للقرآن الكريم. ط1. دار نهضة مصر. القاهرة. 1998م.

المراغي أحمد بن مصطفى. تفسير المراغي.ط1.مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.مصر.1946